الوسطية والبعد الحضاري

أ.د/ علي لاغا
عميد كلية الإعلام في جامعة الجنان
طرابلس– لبنان.

الوسطية والبعد الحضاري

بسم ا   الرحمن الرحيم

الحضارة والثقافة، تعريف ومقارنة:

على غير المألوف، سيحاول الباحث ملامسة التعريفات الأكاديمية للمصطلحات بخفة وتلميح، والإنكباب على تسمية الأشياء بأسمائها، إن إغراق المستمع أو القارئ بتعريفات أدبية أو غارقة في التحليل واضعة المفاهيم في برج عاجي ليس بالمقدور الإفادة منها كما يجب، إن هذا الأمر واجب في مراكز للأبحاث عن المصطلح بذاته، لكنه لا يفي بالغرض عندما تكون الدراسة معنية بإسقاط النظرية على الواقع، وبمعنى أبسط عندما يراد تصحيح مسيرة مجتمع ما، في حاضره والتأسيس بقوة ومهارة إلى مستقبله

الحضارة أو علم العمران:

ستبقى البشرية كما يبدو محتاجة إلى دراسات ابن خلدون في مقدمته لما فيها من الرؤى الدقيقة والتشخيص المتكامل، ورسم حركة المجتمع البشري والأطوار التي مر بها ويؤول إليها فيما بعد.

"أعلم أنه لما كانت حقيقة التأريخ أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك من العمران من الأحوال مثل التوحش والتآنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الأحوال"[١] وإن التحولات الاجتماعية، أو العمرانية في مصطلح ابن خلدون والحضارية في المصطلحات الحديثة تمتاز بخصوصية دقيقة لكل ظاهرة متأثرة بما يحيط بها من بيئة جغرافية، ونظام اقتصادي وسياسي، وتركيبات عشائرية ودين وتراث

[1] إبن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار صاد ، بيروت، بدون تاريخ ولا طبعة، ص:٣٥.

وإن عدم معرفة خاصية كل تحول بشكل صحيح يؤدي إلى عكس المرجو، ويتحول جهد الإصلاح إلى الفشل، وهذا من الأسباب الوجيهة التي بسببها يتخبط العالم الإسلامي عندما لا يأبه الإصلاحيون فيه إلى العوامل الداخلية ويشخصون مقادين بدون تكييف لما يستورد، لما يحدث في مجتمعات أخرى، وهي اليوم تتجسد في أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأميركية.

يرى ابن خلدون، أن من أسباب الكذب في نقل حقيقة التحولات:

١- التشيع للآراء والمذاهب.

٢- الثقة بالناقلين وتوهم الصدق وتمحيص ذلك يرجع إلى التعديل والتجريح.

٣- الذهول عن المقاصد.

٤- الجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع.

٥- الزيف الناشئ عن التقرب من أصحاب السلطة ابتغاء الحصول على الثروة والجاه، وهذا من أسباب إعطاء تفسيرات خاطئة للتحولات في المجتمع.

٦- الجهل بطبائع الأحوال في العمران وإن كل حادث من الحوادث ذاتاً كان أو فعلاً لا بد له من طبيعة تخصه في ذاته وفيما يعرض له من أحواله.

لذلك لا بد من وضع قانون دقيق يتم التمييز بواسطته بين الحق والباطل وهذا يوجب أن "ننظر في الاجتماع البشري. ونميز ما يلحظه من الأحوال لذاته وبمقتضى طبعه وما يكون عارضاً له لا يعتد به"[٢].

وعلى ضوء ما يراه ابن خلدون، فإن مجتمعنا يتخبط اليوم في فهم الظواهر الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وأكثر ما يحدث له الإرباك أنه يأخذ المعلومات عن ذاته وواقعه من مصادر إعلامية يمكن أن توصف بأنها منافسة له وطامعة في السيطرة عليه.

[2] المرجع نفسه بتصرف، ص: ٣٥-٣٧

وانطلاقاً من هذه المسلمات التي خطها ابن خلدون، يجب أن نقف مليا أمام سرعة التحولات المعدة خلاف قوانين المجتمع الذاتية وبما لا يتوافق مع طبيعة المشكلة التي تسببت في تخلفه والانحطاط الذي يعتوره.

رحم ا تعالى، خير الدين التونسي[٣] ، الذي يعتبر بحق تلميذا وناقلاً لفكر ابن خلدون، يظن أنه لو انتفع المسلمون بتوجيهات خير الدين التونسي، لكان العالم الإسلامي على غير ما هو عليه الآن بالتأكيد.

الحضارة الإسلامية وعلاقتها بالحضارات الأخرى:

إن الأدبيات التقليدية التي تتصدر الكتب، وتتلى على الناس صباحاً مساءً، مخبرة إياهم أن نهضة المسلمين العلمية إنما كانت اقتباسا من الإغريق القدماء، إن هذه المعلومات يجب إعادة النظر فيها وبسرعة، ولعل أهم سبب في تخاف العالم الإسلامي هو ابتلاع هذا الطعم المسمم الذي اسمه "التراث الإغريقي العلمي" ومقولة أن المسلمين " خلقوه خلقاً آخر، وأبانوا ما فيه من زيف، وما فيه من علم يستحق التطوير"[٤] .

تحسن العودة إلى خير الدين التونسي وما تأثر به المسلمون في حضارتهم عن الأمم الأخرى، وبالضبط الإغريق، يقول رحمه ا تعالى أنه بينما يتوجس المسلمون في زمانه عن اقتباس قوانين الصناعة والعلوم الناشطة عند الأوروبيين فإن أسلافهم نقلوا عن اليونان علم المنطق حتى قال الغزالي:" من لا معرفة له بالمنطق لا يوثق بعلمه" هذا ما نقله المسلمون فعلاً، إنه فكر عقيم أسلم العالم الإسلامي إلى مصير الأمم السابقة، وحري أن يستشهد بما قاله عمر فروخ رحمه ا تعالى من أن العالم الأوروبي بقي متخلفا ثمانية عشر قرناً حتى تخلوا عن المنطق الأرسطي.

من هنا بدأت مشكلة العالم الإسلامي، وبدأ عهد الانحطاط

---

[3] خير الدين التونسي (١٨١٩-١٨٨٩م) وضع كتابه مقدمة أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك عام ١٨٦٧م، راجع طبعة دار الطليعة، تحقيق معن زيادة، ط١ سنة ١٩٧٨م.

[4] أكرم محمد عبد كسار، الحضارة الإسلامية من خلال القرآن الكريم، مجلة علوم إنسانية العدد ٩ ماي ٢٠٠٤ نقلاً

الوسطية والبعد الحضاري

فعلاً، وما كان لهذا أن يحدث لولا الجهل بطبيعة الفكر اليوناني المبني على المعرفة الهابطة، أو تلك التي سماها مسلمون: الإلهام، بينما منهج القرآن الكريم يبني المعرفة على الحسي المشاهد، الذي يمكن التعرف عليه في عصرنا الحاضر من خلال المنهج التجريبي.

يقول أكرم محمد عبد كسار بأن المسلمين هم: "أول من استعمل العلل من المعلولات، ولم يسلموا إلا بما ثبت بالتجريد والترصد"[5]. إلا أنه عاد مرة أخرى ليشيد بالإرث اليوناني، المنبع الذي شرب منه العلماء المسلمون، وهذا أمر غريب لا ، بل في غاية الغرابة.

إذا كانت المعلومات المجتزأة، أو أكثر من ذلك، هي التي أشعل منها علماء المسلمين قناديلهم على طريق الابتكار والإبداع العلمي في القرن الرابع الهجري وما بعده، من حقبات العصر العباسي، فماذا عدا على ما بدا والمسلمون اليوم وبالأمس قبله، ولقرون مضت، استحفظوا كل التراث اليوناني وغيره من الهندوسية والزرادشتية، والكنسية.. وحقيقة أمرهم أنهم في تخلف مضطرد إلى الحد الذي جعلهم في ذيل الأمم وفي أسوأ واقع تشهده أمة يبلغ عدد سكانها حوالي ثلث العالم، وتملك خمس اليابسة وأغلب المحيطات، وتتحكم بأكبر ثروة عالمية؟

أية معادلة علمية تقول إن قليل الشيء يبدع وكثيره يؤدي إلى الجهل؟ أي عاقل متبصر يقبل هذا؟. ثم إن بذور الفكر الهليني قد غرست في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد في الإسكندرية وأثينا، ولم يظهر لها أثر إبان ظهور عيسى عليه السلام ولا في عصر الإمبراطورية الرومانية، وبقي العالم غارقاً في الجهل حتى بداية القرن السابع للميلاد، أي بعد ١١٠٠ سنة، فإذا بنور العلم يتفجر من بطاح مكة المكرمة، من عمق الجزيرة العربية، ومن المدينة المنورة، وبسنوات قليلة جداً، تكاد تعد على الأصابع، كان العلم وكانت الحضارة، والاطراد يتصاعد حتى وصل إلى ما وصل إليه، وعم الخير العالم كله، ثم يأتي يوم يقول فيه البعض إن البذور الفكرية الإغريقية التي دفنت منذ ١١٠٠ سنة هي التي أعطت كل ذلك الخير.. أمر عجيب وغريب فعلاً، والأكثر استهجاناً أن تسمى حقبة الترجمة في العصر العباسي بالعصر الذهبي، وهذا يعني أن ما قبلها نحاس وثم حديد ، وتلقف المسلمون الطعم ووقعوا في الشراك، وهذا يعني جهلهم بطبيعة ما حدث.

---

[5] المرجع نفسه

يقول خير الدين التونسي إن المسلمين يمتنعون عن اقتباس التنظيمات والصناعة بينما هم "لا يمتنعون فيما يضرهم" إنهم يتنافسون في شراء الملابس وأثاث المساكن والأسلحة الحربية، دون فهم للقاعدة التي تقول "إن الممالك التي لا تنسج على منوال مجاوريها فيما يستحدثونه من الآلات الحربية والتراتيب العسكرية توشك أن تكون غنيمة لهم ، ولو بعد حين".

ويحدد الخلل بـ :

١- في العمران: وذلك بعدم انتفاع صناع البلاد باصطناع نتائجها، الذي هو أصل مهم من أصول المكاسب" ويعطي مثلاً على ذلك أن صاحب الغنم، ومستولد الحرير، وزارع القطن.. يعمل سنة كاملة " ويبيع ما ينتجه عمله للإفرنجي بثمن يسير، ثم يشتريه منه بعد اصطناعه في مدة يسيرة بأضعاف ما باعه به" وهكذا فإن قيمة الاستيراد تفوق كثيراً عائدات الصادرات.

وفي زماننا نحن، فإن البلاد الصناعية تشتري البترول الخام والمعادن بأثمان بخس، كأن تشتري طن معادن ما بخمسمائة دولار وتعيده مصنعاً لنا بخمسة ملايين دولار.

يقول التونسي "وأما إذا زادت قيمة الداخل على قيمة الخارج، فحينئذ يتوقع الخراب لا محالة".

٢- الخلل السياسي: إن احتياج المملكة لغيرها مانع لاستقلالها وموهن لقوتها، ومرد تقدم الإفرنجة هو التنظيمات السياسية المؤسسة على العدل والحرية ويخلص إلى أنه بدون إصلاح هذه الأمور، التي يقول الرسول صلى ا   عليه وسلم بشأنها: "العدل عز الدين، وبه صلاح السلطان، وقوة الخاص والعام، وبه أمن الرعية" وأنه في نصائح الملوك: "أن ولي الأمر يحتاج إلى ألف خطة، وكلها مجموعة في خصلتين، إذا عمل بهما كان عادلاً وهما: عمران البلاد وأمن العباد"[٦].

إن استمرار جهل الإصلاحيين المسلمين في طبيعة الأحوال، سيبقيهم إلى أن يقلعوا عن التغافل والتقليد غير المدروس في أسوأ انحطاط، وليتهم يقلدون ما هو قائم عند الغير، بل إنه

[6] خير الدين التونسي، بتصرف، م.س.ص: ١١١-١١٧

الوقوع في الشراك المنصوب، والعمل بالمرسوم من لدى الجهات المنافسة، وبعضها إلى حد العداء والإقصاء.

ومع أن الاستنتاج المسبق في هذا البحث ليس محموداً إلا أنه لا بد من القول: مازال عالمنا ينقل من حفرة إلى حفرة، ومن معركة إلى أخرى، ومن صرعة إلى صرعة تليها، هكذا الناس في بلادنا يعيشون وسط إعصار، وكأن حال يوم القيامة واقع في حقهم "يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب ا شديد"[٧] .

في كل يوم يبحث الناس عن حل لكن ليس بدراسة مكنونات حضارتهم، ومنبع عزهم، بل فيما يلّقنونه، فَيشار عليهم أن انتقلوا إلى اللادينية (العلمانية)، فتنتقل عاصمة الخلافة الإسلامية العثمانية من النقيض إلى النقيض، وما زالت تتخبط، وقيل لهم كونوا قوميين، أو الحل بالاشتراكية، ثم بالديمقراطية.. والسلسلة متتالية، والمريض مازال مريضاً والحمى تشتد ولا عاقل يفكر.

<u>الإبتعاد عن الهيمنة وإبراز التسامح والبراءة من تهمة العنف:</u>

في كل مرة يدعى المرء لتطهير سمعته مما لا يعرف له محضنا ولا منشأً ولا ممارسة في حضارته وتاريخه وواقعه، يجد نفسه مشدوداً إلى استعادة قراءة ما كتبه لافنتين (la fontaine) عن الحيوانات المرضى بالطاعون، وأن كل الجرائم التي اعترف بها كبار سباع الغابة لا تشكل سببا لما حل فيهم من مرض، حتى تقدم الحمار واعترف بأكله باقة عشب عن جانبي الطريق، فنادى المجتمعون: المجرم، المجرم. وانقضوا عليه وافترسوه. أو يستعيد قصة الذئب والحمل، فالذئب يعيش في أعلى الجبل، حيث منبع الماء، والحمل يرعى في الوادي، ويتهمه الذئب بتعكير الماء عليه، ولما أجاب الحمل أنه في الوادي الأسفل، والذئب في المكان الأعلى، وأن عمره اشهراً. أجابه الذئب: هذا جدك من عكر علي الماء وانقض عليه وأكله.

---

7 سورة الحج:٢

الوسطية والبعد الحضاري

إن خلاصة ما توصل إليه (la fontaine) من أن حجة القوي هي الأقوى هي ما يتبادر إلى ذهن المسلم عندما يطلب منه أن يتبرأ من الإرهاب والعدوان وعدم التسامح إلى آخر المعزوفة، إن القرن العشرين تلطخ لونه بمئة وخمسين مليون قتيل عدا الجرحى والمعوقين والدمار وتدمير الاقتصاد. هذا ما فعله العالم الأوروبي ومعهم الولايات المتحدة الأميركية، إن هؤلاء الذين يمسكون بمقاليد الأمور في كل المعمورة، هم الذين يطالبون المسلمين أن يتخلوا عن الإرهاب وأي إرهاب. إنها بضعة عمليات (كأكل الحمار للعشب على جانب الطريق) حدثت وحتى الآن لم يقل القضاء الحر من هم وراء بعضها، وزيادة على ذلك، فإن من ظهرت أسماؤهم كمتهمين فيها لا يمثلون إرادة العالم الإسلامي، وهم ممن عاش وتعلم في تلك الدول التي توجه التهم، وكما هو معلوم فإنه لا توجد قيادة مسلمة تتحمل مسؤولية مسلم فعل فعلة هنا أو هناك، مع الأخذ بعين الاعتبار الجهة التي استخدمته، إن هذا الأمر لا حل ولا راد له ولا لتبعاته إلا بطريقة واحدة لا ثاني لها: أن يمتلك المسلمون مقاليد أمورهم، وهذا لن يحصل إلا إذا تخلوا عن الركام والغبار الذي غطى منهج القرآن الكريم وسنة رسول ا صلى ا عليه وسلم في استعمال العقل، ومن ثم استعادته إلى حيث خُلق من أجله، إلى الكون، كي يعمل فيه، يبني الحضارة، ويمضي في استعادة مجد تليد، تمت إضاعته، بسبب الخلل الذي اعتور العقل المسلم وأغرقه في وحول أفكار عقيمة، وتراث أمم بائدة.

إنه لا جدوى من الاستنكار، وفي كل يوم تصنع القوى الدولية المسيطرة فيلماً جديداً، وتقوم وسائل الإعلام بوصفه وبالحديث عن المخاطر التي يهدد فيها العالم حتى تبلغ القلوب الحناجر، ليس خوفاً، وإنما هو أمل يتم بعثه في نفوس البسطاء من المسلمين فيحسبون أن المخاص قد أتى، وفي لحظة، يفرغ " البالون" من الهواء.. وتتلاشى الأحلام، وبدلاً من مراجعة الحسابات والانكباب على دراسة أسباب الضعف، يطلق في الهواء "بالوناً" جديداً، ويعود المسلمون إلى أحلام اليقظة كل هذه اللوحة يمكن مراجعتها عبر حقبة قصيرة من الزمن، من تنظيم القاعدة ـ هذا السحر الذي لم يتم التعرف على مقوماته وأركانه ـ ثم طالبان في أفغانستان، والمحرومين في جنوب السودان، ثم صدام حسين في العراق حتى إذا ما اندرس كل مظهر من مظاهر الدولة تفتش الجيوش الجرارة على "الزرقاوي" بين أسرة الأطفال ومصانع الخبز وأروقة المساجد والكنائس". وقبل أن يسدل الستار عن هذا الحدث، بدأ اصطناع حدث آخر في مصر، الكنانة، تحت شعار الإصلاح، وتتدحرج كرة الثلج، حتى إذا

ما كبرت يسهل عندها تفتيت مصر كما فتت السودان، وتكتمل الخطة في وادي النيل من المنبع حتى المصب.

كلها أحداث تصنع، ويشارك المسلمون فيها، وتكون النتيجة وخيمة عليهم ولا من يتعظ ولعل أحداث دارفور إذا ما عرف أبطالها تكفي لاستعادة الذاكرة ثم يطلب من المسلمين التبرؤ من الإرهاب.

إن التسمية مباشرة أبلغ من الإيحاء، وإن كان الأخير وسيلة أمثل للإصلاح، إنه في لبنان مثلاً اتهم المسلمون بالطائفية بالمعنى الديني أي أنهم يكرهون المسيحيين من أبناء وطنهم، وتمضي وسائل الإعلام بدون توقف في كيل التهم والإفادة من "المقالب" التي ترتكب لشباب بسطاء من المسلمين، وتدب الصرخة دفاعاً عن المسيحيين من عدوان المسلمين، ويصمت المتكلمون عندما يسألون، كيف يتهم المسلمون بالعدائية ضد غيرهم، وهم أبناء الدولة التي حكمت أغلب المعمورة نيفاً وألف سنة، وبقي غير المسلمين في بلاد يحكمها المسلمون، ومرت قرون كان بإمكان المسلمين أن يبيدوا غيرهم من الأقليات دون حسيب ولا رقيب، مع الإشارة إلى أن عمر الولايات المتحدة الأميركية لا يزيد عملياً على ثلاثة قرون من الزمن، وأوروبا لم تستفق من سباتها الطويل إلا منذُ ثلاثة قرون ولم تكتب السيطرة نهائياً لهذه الدولة على العالم الإسلامي إلا بعد الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م، كل ذلك ولم يفعل المسلمون ما يتهمون به اليوم، أي أنهم عفوا وهم أقوياء واضطهدوا غيرهم وهم ضعفاء، أمر غريب.

ثم إن كل الكتب التي أصدرها مسيحيون في لبنان، من مراكز إعلامية مسيحية مثل المركز الكاثوليكي للإعلام، وتاريخ الموارنة للأب ضو حديثاً تقول بأن الصراع الطائفي في لبنان بدأ منذ قرن ونصف، ومن يعد لهذا التاريخ يقف عند بداية وصول الأساطيل الأجنبية إلى شاطئ البحر الأبيض المتوسط في بيروت، بدءاً من ربيب الفرنسيين إبراهيم باشا الذي في عهده حصلت فوضى في جبل لبنان وقتل الموارنة أربعة آلاف درزي، وبعد خروجه من المنطقة رد الدروز بعملية ثأرية أدت إلى مقتل أحد عشر ألف مارونياً وهذا ما يعرف بفتنة ١٨٦٠م، التي ما فتئ الناس يستذكرونها حتى اليوم، وهي التي أسست إلى ما وصل إليه لبنان فيما بعد وحتى اليوم.

ويسكت هؤلاء الذين يتهمون المسلمين بالفرز الطائفي عندما يواجهون بالتاريخ، إن الفرز الطائفي يحصل في أواخر القرن العشرين، أي في عهد الحكم الأوروبي، والفرز يكون لأرض مشاع، وهذا يعني إعترافاً صريحاً بأن الناس كانوا يعيشون مختلطين لا يخاف مسلم من مسيحي ولا مسيحي من مسلم أيام الدولة العثمانية وما قبلها، وأنه في العهد الذي زالت فيه دولة المسلمين، وباتت السلطة في العالم مطلقة لدول معروفة، يقوم المسلمون، وهم في أضعف أحوالهم باضطهاد المسيحيين، من يصدق ذلك؟؟؟.

وبالرغم من كل هذه الحقائق فإن:

حجة القوي أقوى.

إذا كان المسلمون في التاريخ قد حكموا العالم أكثر من ألف سنة وبقاء الأقليات في أماكن سيطرتهم تشهد على عدالة الإسلام وشريعته التي تبقي العالم متعدداً، لا إكراه لأحد كي يغير دينه، ثم يقول القوي اليوم: إنه على المسلمين أن يتخلوا عن الإرهاب هذه هي تهمة وحوش الغابة لأضعفهم، وتهمة الذئب للحمل.. ولا جدوى ولا فائدة من أية محاولة لردها.

إن الكرة في ملعب الدولة المسيطرة، والمسلمون في غنى عن أية محاولة لرد تهم باطلة، فإنه لا يوجد في شرعهم ولا في تاريخهم ما يشير إلى أي مظهر من مظاهر ما يسمى بالإرهاب.. وإن تعددية الشعوب والعيش المشترك والمشاركة في أمور الدولة دونما نظر لدين الإنسان صفة ملازمة للمؤسسة المسلمة في السلطة، وأن واقع المسلمين اليوم في ظل حكم الأقوياء حالياً، ووضع الأقليات المسلمة في البلدان غير الإسلامية، يقول لهؤلاء: عليكم أن تفعلوا كما فعل المسلمون بمشاركة غير المسلمين في أمور الدولة، فكان وزراء من يهود ومسيحيين.. ولغير المسلمين حكمهم الذاتي في إدارة شؤون حياتهم الخاصة، فهل تسمح المحكمة في الولايات المتحدة لمسلم أن يسجل زواجه إلا في الكنيسة؟؟ إذا ما وصلوا إلى حد السماح للمسلم بعقد زواجه في المسجد وقبوله من المؤسسة الرسمية، عندها تبدأ الخطوة الأولى نحو الاعتراف بالآخر.

إن الإسلام والمسلمين لا يعرفون فعل " الإرهاب" ومعلنو الحرب على الإرهاب هم صانعوه..

دعم التفاهم بين الحضارة الإسلامية وغيرها من الحضارات والثقافات:

قبل الإجابة على ما ورد أعلاه يجب السؤال عن الآتي:

هل المسلمون يحملون الإسلام وثمرته الحضارة الإسلامية، ويعيشون ثقافة ناتجة عن تمثل هذا الدين حتى يروا أين مواطن التصادم كي يمكن تجنبها مع الآخرين، أم أنهم يحملون هجينا من الثقافات، اللون الإسلامي فيها هو الأضعف، وهذا الفسيفساء يحمل في جنباته بذور الاختلافات والانشقاقات والتشطر، وسرعة نشوء الزمر في الأحياء والدساكر، والوقوع فريسة سهلة لكل طامع يريد اختراق مجتمع المسلمين، وتدب الصرخة، صدام الحضارات، وصراع الثقافات؟.

هذا ما يجيب عليه مالك بن نبي رحمه ا تعالى؛ إنه يعرف الثقافة بأنها: "مجموعة من الصفات الخلقية،والقيم الاجتماعية التي يلقاها الفرد منذ ولادته كرأسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه، والثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته" أنه لما كانت الثقافة هي وليدة البيئة وما حوت لذلك يرى مالك بن نبي أنه يجب: "بادئ الأمر تصفية عاداتنا وتقاليدنا، وإطارنا الخلقي والاجتماعي، مما فيه من عوامل قتّالة، ورمم لا فائدة منها، حتى يصفو الجو للعوامل الحية والداعية إلى الحياة.

وإن هذه التصفية لا تتأتى إلا بفكر جديد، يحطم ذلك الوضع الموروث عن فترة تدهور مجتمع أصبح يبحث عن وضع جديد، هو وضع النهضة".

ويقول بأنه يجب الخلوص إلى ضرورة تحديد الأوضاع بطريقتين:

الأولى: سلبية تفصلنا عن رواسب الماضي.

والثانية: إيجابية تصلنا بمقتضيات المستقبل[٨]

وكما جاء في مقدمة البحث، فلا داعي للغوص في تعريفات الثقافة، هذه أمور متوفرة لكل من يريد التعرف عليها، إلا أن المطلوب اليوم إقامة ورشة من الباحثين الجادين في مراكز بحثية تؤمن لها كل مستلزمات هذا العلم الجليل وإحداث أكبر عملية جرح وتعديل للفكر

[8] مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عمر مشقاوي، عبد الصبور شاهين، مصر ط٢ سنة ١٩٦١م بتصرف من ص:١٠٨-١١٥

الإسلامي والثقافة الإسلامية، والمصطلحات الحديثة عند المسلمين، والمفاهيم الأساس لكل مفردة من مفردات المجتمع المسلم اليوم، وبعد الوصول إلى أقرب تعريف لما هو من منبع الشريعة وأصالة الأمة، وأبعاد كل مصطلح أو مفردة أو عادة أو تقليد، أو منهج فهم دخل إلى حياة المسلمين وكتبهم وأدبياتهم، عندما يبعد أبناء الزنا والبغي من هذه الوافدات التي يصل الباحثون إلى أنها مرفوضة، عندها سيعمل الباحثون المسلمون على إيجاد حلول للمشاكل التي تبقى بين الحضارة والثقافة الإسلامية وبين الحضارات والثقافات الأخرى.

إنه لم يعد بالإمكان تحمل عبء تركة هذا الخليط من العادات والتقاليد والمفاهيم والحركات والتجمعات والمجموعات التي لا يعرف لها أب ولا أم وابنها المعروف فقط هو الاستجابة لأية أوامر ولو بالخفاء تصدر له كي ينفذ حدثاً مما يتهمون به المسلمين. إن التركة مثقلة بالشوائب والطريق إلى معالجتها تكون بالانكباب على الداخل وليس بإلقاء التبعة على المؤامرة الخارجية، إن كل مسؤول في دولة أو نظام عليه أن يقوم بخدمة المجتمع الذي أوصله إلى سدة المسؤولية، وسنة ا تعالى في البشرية أن الناس فيها إما غالب أو مغلوب، وفي ملاحظة سريعة ومتأنية إلى ظاهرة تداول المواقع، يتبين أن غالب الأمس هو مغلوب اليوم، وأن كل موجة تصل إلى الشاطئ وتتحطم بينما تكون وراءها موجة أخرى تتوثب للوصول، فالموجات تترى بدون توقف، عندها يمكن القول بأن من غُلب أو المغلوب هو المتسبب بالذي يحصل له، وكل مجموعة تقوم بما يمليه عليها واجبها، وأنه على المسلمين الكف عن اتهام الآخرين وإلقاء تبعة ما هم فيه على أولئك الذين تتعدد أسماؤهم وتتغير هوياتهم ولغاتهم تبعاً لتغيير مواقع القيادة في العالم، والضعيف الذي لا يغير مما هو فيه، فإنه سيبقى يحصي أسماء وأعداد الوافدين الذين يجتاحون مقدساته، يروي قصصهم لأبنائه وأحفاده في صيغ شتى، كالحلقات التي نشاهدها في " عائدون" إنها تصور واقع المخيمات للاجئين الفلسطينيين، ويحكي فيها المعمرون قصة حياتهم يوم كانوا في فلسطين.. وما على المشاهد إلا البكاء وذرف الدموع.

هذه هي ملامح الطريق للوصول إلى البراءة.. استعادة العقل المسلم من عالم الملكوت الذي يسبح عبثاً فيه محاولاً التعرف عليه، وهو مخلوق للعالم المشهود، هنا في الكون مناط تكليفه والدور الذي بإمكانه أن يقوم به، ومآله بعد ذلك إلى العالم الآخر حيث سيحصد نتيجة عمله هنا في الحياة الدنيا، وسيمسك بكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وعندما

يستعاد هذا العقل يتم التخلص من أسطورة الحضارة الإسلامية التي حسب زعمهم قد سقيت جذورها من الإغريق القدماء، وإقصاء كل فكر دخيل وعادة دخيلة وأبناء الحرام.. وإخراج فكر إسلامي صحيح وبناء النموذج الذي يقرؤون عنه في التراث المجيد، عندما يتحقق الفعل بالقول، ويرتفع صرح الحضارة المتوجب عليها خدمة البشرية، عندها ستتوقف التهم ويتراجع المتهمون.. وتسطع الشمس، ويتذكر المسلمون قول ا تعالى: "إن ا لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"[٩] وقوله تعالى: "ذلك بأن ا لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"[١٠]

وإنه:

"وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون"[١١].

وإنه "وعد ا الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنَن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً"[١٢].

---

9 سورة الرعد: ١١
10 سورة الأنفال:٥٣
11 سورة هود: ١١٧
12 سورة النور:٥٥